أمارة يمنية بالمغرب الأقصى
آل صالح فى ناكور

الدكتور محمد أمين صالح

أستاذ التاريخ الاسلامى المساعد

كلية الآداب ـ جامعة القاهرة

AL-SALEH AT NAKOOR

A Yaminate Imirate was founded by SALEH Ibn MANSOOR EL-HYMYARI at Temsaman Mountain in North Africa, between Melila and Septa, about the end of the first century of Higra, while MOOSA Ibn NOSSAIR was completing the final conquest of the far west.

SALEH Ibn MANSOOR gained love and respect of Sanhaja and Ghomara, the inhabitants of that region beeause of his good and wise policy. Although they revolted against the Arab's Soverignty, they not only accepted his return to rule them, but also made his Imirate heritable in his family which lasted more than three centuries.

He married a woman from the Barbar who gave birth to him two sons, MO'TASIM and IDRIS. They ruled one after the other. It is said that IDRIS Ibn SALEH put the foundation of a new city where two rivers : Ghis and Nakoor join to-gether. It was completed by his succesor SALEH Ibn IDRIS, SALEH the second. The city was called after Nakoor river, and became the capital of this State or Imirate.

The geographical position of that region gave Nakoor natural richness in agriculture, industry, and internal and external commerce. Its prosperity was due to the good relation with all Islamic States in North Africa, at Kayrawan, Tahert, Segilmasa, and Fas, also with Kordova in Andalous.

Nothing serious happened to this City-State except some little disturbances which were easily overcomed, and two sea invations from the Fikings, which pushed the Imirs to build some fortresses for defence.

The true crisis happened during the first half of the fourth century, after the fatimids had founded their Khalifate, and began to subject all North

Africa to its soverignty. The fatimids attacked Nakoor three times. The first was on 305H., at the time of SA'ID the second, and on 308H., at the time of SALEH the third. These two expiditions were lead by MOSALA Ibn HABOOS, while the third one on 323H., lead by SANDAL EL-FATA at the time of ISMAIL Ibn ABDEL-MALIK. Another serious attack on Nakoor on 318H., was lead by MOOSA Ibn ABIL-AFIYA, who killed its Imir AL-MOAYAD Ibn ABDEL-SAMII, damaged its walls and constructions. It is noticed that the ruins happenéd by Ibn ABIL-AFIYA was more than the fatimids caused.

Other branches of AL-SALEH had their chance to rule, among whom we notice BANY GORTHOM, who rulled till the end of this City-State on 410 H.,

Dr. M. Amin Saleh
Assistant Prof., Islamic History
Faculty of Arts, Cairo University.

تتحدث عن « مدينة ــ دولة » اسلامية تقع غربى نهر ملوية بين مدينتى مليلة وسبتة على الساحل الشمالى للمغرب الأقصى ، نشـأت فى ظروف التقدم العربى فى العصر الأموى على عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك ٨٦ ــ ٩٦هـ / ٧٠٥ ــ ٧١٤م •

ففى هذا العهد كان موسى بن نصير يستكمل الفتح النهائى لبلاد المغرب باخضاع الجيوب المتفرقة هنا وهناك • فنزلت بعض العرب اليمنية بقيادة صالح بن منصور الحميرى جبل تمسامان على البحر (١) بموضع يقال له بدكون بوادى البقر ، على بعد عشرين ميلا فى مدينة ناكور التى ستؤسس فيمـا بعـد (٢) •

وكانت غزوات موسى بن نصير وسراياه من القوة بحيث سببت الذعر والهلع للبربر فاستسلموا للعرب على الأمان والطاعة واعتناق الاسلام (٣) وهكذا أسلمت بعض صنهاجة وغمارة سكان المنطقة التى نزلها صالح بن منصور الحميرى وعلى يديه (٤) وتم ذلك فى بدء التسعينيات من القرن

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب فى اخبار الاندلس والمغرب ١٤٦/١ بيروت . البكرى ، المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ٩١ الجزائر ١٨٥٧ .
(٢) البكرى ، المغرب ٩١ .
(٣) د . السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ٢٥٧/٢ القـاهرة ١٩٦٦ .
(٤) البكرى ، ٩١ ، كاتب مجهول : الاستبصار فى عجائب الأمصـار ١٣٦ الاسكندرية ١٩٥٨ .

الاول الهجرى (١) •

ولأسباب كثيرة تناولتها المصادر التاريخية والدراسات المختلفة عن سياسة الحكم العربى فى بلاد المغرب ، دفعت البربر الى اعتناق مذاهب الخـوارج الوافدة من الشرق للتخلص من الاستبداد العـربى بأرضهم وكرامتهم • فثارت بدورها صنهاجة وغمارة على الامير العربى صالح بن منصور ، وكانت الثورة عنيفة اذ أخرج البربر هذا الحاكم من ديارهم • وتصور المصادر هذه الثورة على شكل ردة بقولهم « ارتدوا ثم عادوا الى الاسلام » أو « ثم ارتد أكثرهم لما ثقلت عليهم شعائر الاسلام » ، وأضاف البكرى أنهم « قدموا على أنفسهم رجـلا من نفزه يسمى داود ويعرف بالرندى » (٢) •

وليس الأمر ردة على الاسلام كما حدث مثلا فى برغواطة التى دانت بديانة شرعها لهم صالح بن طريف الذى تسمى بصالح المؤمنين وزعم أنه المشار اليه فى القرآن (٣) ، انما المعروف أن داود النفزاوى هذا الذى قاد الثورة فى ناكور هو أحد رجال البربر الأولين الذين تلقوا مذهب الاباضية على يد سلمة بن سعيد أول من أدخل هذا المذهب فى افريقية ، ثم رحل مع عاصم السدراتى واسماعيل بن درار الغدامسى وعبد الرحمن بن رستم الفارسى ، رحلوا جميعا الى البصرة وزادوا فى علمهم أصول المذهب على أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة البصرى من كبار الاباضية مدة خمسة أعوام عادوا بعدها الى بلادهم وعرفوا بحملة العلم (٤) •

ونرجح أن ثورة داود النفزاوى هذه كانت شكلا من أشكال ثورة البربر بالمغرب الأقصى قاطبة بقيادة ميسرة المطغرى فى ولاية عبيد الله بن الحبحاب وخلافه هشام بن عبد الملك والتى قتل فيها عمر بن عبد الله المرادى حاكم طنجة ، واسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب حاكم السوس ، ثم هزيمة العرب فى موقعتى الأشراف عام ١٢٢هـ وبقـدورة فى المحـرم ١٢٤هـ • وضاع وقتئذ ملك العرب بالمغرب الأقصى •

---

(١) ابن خلدون : كتاب العبر ٦/٢١٢ القاهرة ١٢٨٤ هـ .

(٢) ابن عـذارى ، ١/١٩٦ ، الاستبصـار ١٣٦ ، البـكرى : ٩٩ ، ابن خلدون : ٦/٢١٢ .

(٣) البكرى ، ١٣٤ ــ ١٤١ ، ابن الخطيب: أعمال الاعلام القسم الثالث ١٨٢ الدار البيضاء ١٩٦٤ .

(٤) الظاهر أحمد الزواوى ، تاريخ الفتح فى ليبيا ١٢١ القاهرة ١٩٦٣

وتذكر المصـــادر التاريخية عودة صالح بن منصور الحمير الى بلده ومقر حكمه • هذه العودة كما نرى جاءت فى ظروف استعادة العرب هيبتهم وسلطانهم ازاء الخوارج من البربر على يد حنظلة بن صفوان الـــكلبى ١٢٤ ــ ١٢٧هـ / ٧٤٢ ــ ٧٤٤م ، سواء يتحدى صالح بن منصور لداود النفزاوى ، أو انتقاض صنهاجة وغمارة على داود وقتله (١) •

هذا وقد حكم صالح بن منصور الحميرى بصورة أمير مستقل فى تلك المنطقة الشمالية من المغرب الأقصى فى وقت ضعفت فيه سيادة الخلافة الاسلامية منذ أواخر العصر الأموى فى تلك البلاد التى عادت الى قبليتها فى أقاليمها المحلية فى ظل الاسلام • وأكبر الظن أن سياسة صـــالح بن منصور كانت تؤنس اليه البربر فقد أسلم منهم عـــدد كبير على يديه ، وقبلوا عودته أميرا عليهم • ثم هو بجانب زواجه من امرأة من صنهاجة أنجب منها ولديه المعتصم وادريس ، كان يسير على سياسة اليمنية المعروفة تجاه البربر فى رعايتهم للنواحى الاقتصادية والاعتدال فى الضرائب ، حتى أحبه البربر وعرفوه « بالعبد الصالح » (٢) ولعلهم اعتبروه أحد الاولياء فأولوه احترامهم وقبلوا حكمه الى أن توفى (٣) عام ١٣٢ / ٧٤٩ ــ ٧٥٠ فجعلوه وراثيا فى ذريته بأن ولوا عليهم ابنه المعتصم الذى كان « شهما شريف النفس كثير العبادة يلى الصلاة والخطبة لهم بنفسه » (٤) • غير أنه توفى بعد قليل ــ لم ترد سنة وفاته ــ فخلفه أخوه ادريس بن صالح (٥)•

وينفرد ابن خلدون بذكر امارة ادريس بن صالح بن منصـــور وانه اختط مدينة ناكور عند عدوة الوادى غير أنه توفى عام ١٤٣/٧٦٠ قبل اتمامها فأكمل بناءها ابنه سعيد بن ادريس (٦) الذى تولى بعده واليـــه يعزى المؤرخون بناء المدينة على بعد خمسة أميال من ساحل البحر ، بين وادى ناكور الذى يصب الى الغرب من مدينة مليلة وبه سميت المدينة ، وبين نهر غيس اللذين يجتمعان فى موضع يقـــال له أكدال (٧) وأسست

---

(١) البكرى ، ٩١ .
(٢) ابن عذارى ، ١٧٦/١ ، البكرى ، ٩١ الاستبصار ، ١٣٦ .
(٣) انفرد ابن خلدون بذكر هذا التاريخ ، كتاب العبر ، ٢١٢/٦ .
(٤) نفس المصدر .
(٥) نفس المصدر ، البكرى ، ٩٢ .
(٦) ابن خلدون ، ٢١٢/٦ .
(٧) البكرى ، ٩٠ ــ ٩١ يذكر فى الاستبصار ص ١٣٦ بعد المدينة عن البحر بعشرة أميال ــ كما يوضح منبع نهر ناكور فى بلاد كزناية وهو نفس منبع نهر بورغة .

المدينة بين رواب ، فجاءت فى مواجهة جبل عرف بالمصلى وأنشىء بهـا جامع ذو أعمدة من خشب العرعر بجانب الحمامات والأسواق ثم أسكنها الناس (١) وكان جده صالح بن منصور قد أنزل من قبل « نفرا من البربر موضعا يحاذى المدينةفى الضفة الثانية من النهر فنقلهم اليها(٢)» وبنى بالمدينة بطبيعة الحال قصر الأمير وبيوت بنى صالح وكذلك دور الحكومة الادارية والمالية ، كما أقيم حول المدينة سور من اللبن له أربعة أبواب كل له اسم ، فى القبلة باب سليمان ، وبين القبلة والشمال باب بنى ورغايل ، وفى الغرب باب المصلى ، وفى الجنوب باب اليهود (٣) .

وصارت ناكور عاصمة لمنطقة ساحل تمسـامان من الريف بالشمال الافريقى ، وبه عدة مراسى هى ملويه ــ هرك ــ كرط ــ الدار ــ أوفيتس ــ وادى البقر ــ المزمة ، ويقابله من بـر الاندلس مدينـة مالقـة . وتحوى رواب وجبـال بين جراوة شرقا وغمارة غربا (٤) كما امتد نفوذها الى مكناسة فى الداخل (٥) هذه المراسى الكثيرة المنسوبة الى ناكور أعطى للمدينة امكانية الاتصال البحرى الميسر على طول الشـاطىء الافريقى والى الشاطىء الايبيرى المقابل والجزر المحصورة بينهما ، هذا الانفتاح على البحر أثر بشكل ملحوظ على اقتصاد وتاريخ ناكور .

فمن دراستنا لجغرافية تلك المناطق المعنية من شمال افريقيا نجدها تأخذ أولا السهل الساحلى ثم الهضاب الداخلية ، وتتميز باعتدال المناخ مع ميل الى البرودة والأمطار شتاء فهى منطقة زراعيـة رعوية ممتـازة « مسيرة عشرة أيام فى عمارات وحصون وقرى ومنازل وزرع وضرع

---

(١) البكرى ، ٩٠ .

(٢) البكرى ، ٩٢ ناكور هى مدينـة المزمة أو قريبا منهـا زمن ابن عذارى ١/١٨٠ ، ناكور مدينة لها مرسى ترسو فيه المراكب فى بطن جزيرة تعرف بالمزمة ومنها الى سبته (ابن حوقل صورة الأرض ٧٨ ليدن) وتوجد خرائب ناكور الآن على الضفة الشرقية لوادى ناكور فى قرية بنى عياش من قبيلة بنى ورغايل على بعد ٢٦ كيلو مترا من مدينة الجسيمة نحو الجنوب وتعرف عند الأهالى حتى اليوم (أحمد المكناسى ، المدن المندرسة الاسلامية شمال المغرب ٢٠٨ تطوان ١٩٦١) .

(٣) البكرى ، ٩٠ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) علمنا ذلك مما ذكر أن مكناسة امتنعت على صـالح (الثـانى) وحبسوا مغارمهم . البكرى ٩٣ .

وخصب » (١) ، وناكور ذاتها مدينة خصبة حصينة (٢) ، كثيرة البساتين طيبة الفواكه لا سيما الكمثرى والرمان « فليس يوجد مثلها فى بلدة (٣) وعلى نهريها تدور الارحاء وعند عدوة غيس يتناتج كراع آل صالح ؛ وتكثر بها الاخشاب وأكثرها خشب العرعر والارز (٤) •

ويمكن أن نستنتج وجود بعض الصناعات وأهمها صناعة المراكب فى تلك المراسى العديدة على ساحل البحر المتوسط (٥) ، لوفرة الاخشاب من الأنواع الممتازة لبناء السفن مع وجود فائض للتصدير ، وكذا صناعة البناء التى ازدهرت بسبب كثرة العمران الذى أضحت فيه ناكور ، بجانب عصر الزيوت وصناعة الألبان والصابون وغير ذلك من الصناعات المعيشية الأخرى •

أما عن التجارة فقد سارت حركة التجارة الداخلية فى أسواق ناكور مثل المدن الاسلامية الأخرى ويستخدم التجار « مكيا لا يسمونه الصفحة ، وهو خمس وعشرون مدا بمد النبى (ص) ، ويسمون نصف الصفحة المسدس • والرطل عندهم فى جميع الاشياء اثنان وعشرون أوقية ،والقنطار مائة رطل » ، أما عن النقود فكانت الدراهم « بالعدد بلا وزن » (٦) وكل هذه الأمور تدل على مستوى حضارى معين عاشته ناكور مع استقرار اقتصادى ملحوظ •

ونشطت التجارة الخارجية تبعا لظروف السلم وحسن الجوار الذى اتبعه أمراء ناكور مع الدول المجاورة أو البعيدة • ويظهر أن الادارسة بعد اقامة دولتهم بالمغرب الأقصى لم يتعرضوا لاستقلال هذه الامارة العربية البربرية فعاشتا فى سلام بل انهم تصاهروا معهم (٧) مع قيام التبادل التجارى عن طريق البحر وخاصة المزمة التى كانت تتصل بميناء سبته على الشاطىء الافريقى (٨) وأيضا بمالقة وبجانة على شاطىء الاندلس (٩) وكذلك

---

(١) اليعقوبى ، كتاب البلدان ٣٥٧ ليدن ١٨٩٦ .
(٢) الاصطخرى مسالك الممالك ٣٨ ليدن ١٨٦٧ .
(٣) الاستبصار ١٣٦ .
(٤) البكرى ، ٩٠ .
(٥) استخدام بنو صالح الكثير من هذه السفن فى هروبهم أمام المد الشيعى الفاطمى كما سنذكر فيما بعد .
(٦) البكرى ، ٩١ .
(٧) الاستبصار ، ١٣٦ .
(٨) ابن حوقل ، صورة الأرض ٧٨ .
(٩) الاصطخرى مسالك الممالك ٣٨ .

الحال كما نرى مع دولتى الخوارج الاباضـــية فى تاهرت والصفرية فى سجلماسة وأيضا الأغالبة فى افريقية لمك التى ظهرت جميعا فى القرن الثانى الهجـرى • كما نرجـح تصـدير ناكور لاخشاب العرعر والارز الى الاسكندرية (١) ، وعودة السفن ببضائع مصر والشرق ، ووضح أثر هذا الاتصـال ببنـاء مسجد ، رباط ، على نهر غيس على صفـة مسجـد الاسكندرية بمحارسه وجميع منافعه (٢) •

ونميل الى القول أن هذه الامارة شكلت نموذجا لائتـلاف العرب والبربر • فهى من ناحية غرست جذور العروبة والاسلام فى تلك المنطقة من شمال افريقيا التى امتد اليها الفتح العربى • ومن ناحية أخرى فان العرب اليمنية حكام هـذه المدينـة الدولة وغيرهم من العرب الوافدين تعاونوا وعملوا فى نفس النشاط البشرى من زراعة ورعى وصـناعة أو تجارة ، وتزاوج العرب البربر ، وكلاهما شعب عريق متشابه الصفات ، قوى فيهما حب الاسلام ورعايته بانشاء المساجد وتعلم القرآن والحديث ، ورحل بعضهم ليأخذوا عن مدارس القيروان أو الفسطاط أو الحجاز علوم الدين ، وتمسك أهل ناكور وامراؤهم جميعا بمذهب مالك (٣) فمثلت بذلك امارة سنية وسط محيط خوارجى أو علوى بالمغربين الأوسـط والأقصى •

أما عن التاريخ السياسى لهذه الامارة الفريدة التى استمرت أكثر من ثلاثة قرون وراثية فى هذه الأسرة العربية اليمنية التى اكتسب الاتقيـاء الاولون من أمرائها محبة البربر وتقديرهم فأنزلوهم منزلة الاولياء ، وتلك خاصة نفسية فى البربر كشف عنها أحد الباحثين (٤) بقوله « ولعل العجيب المدهش فى هؤلاء البربر هو أن احترامهـم للأولياء يفـوق كل احترام لسواهم مهما جل » ، ولعل هذا يفسر طول بقاء امارة بنى صالح الذين أثبتوا من بعد هذا الدور التأسيسى للمدينة الدولة ، أثبتوا المهارة السياسية والمقدرة العسكرية والادارية ، واتصافهم أيضا بالشجاعـة والبسالة فى مواجهة الأحداث من بعض اضطرابات داخلية استفحلت بعد أن تصاب

---

(١) كانت مصر فى احتياج دائم للأنواع الممتازة من الأخشاب كسلعة استراتيجية لصوارى السفن الحربية تبنى فى دور الصناعة المصرية .

(٢) البكرى ، ٩١ .

(٣) كان عبد الرحمن بن سعيد بن صـالح فقيهـا بمذهب مالك ـ

(٤) دوزى : تاريخ مسلمى أسبانيا ١٢٦ .
البكرى ٩٣ .

هذه الامارة بتلك الآفات التى أصابت سائر الامارات أو الدول الاسلامية وبخاصة انقسام البيت الحاكم على نفسه ، وكذا استخدام عناصر أجنبية من العبيد الصقالبة كقوة عسكرية •

فبالنسبة للثورات أو الاضطرابات الداخلية لم نسمع شيئا منذ ثورة الخوارج على عهد صالح بن منصور مؤسس هذه الامارة ، حتى عهد حفيده سعيد بن ادريس بن صالح مؤسس المدينة العاصمة ناكور ، والذى أثبت جدارته « فاستفحل أمره » (١) واحتفظ بالامارة فى بيته فى ولده ثم حفيده الى أن تحول الى الفروع الأخرى من بنى صالح لتبدأ النهاية فى مواجهة اعصار الفاطميين على الشمال الافريقى كله فى بداية القرن الرابع الهجرى •

ويتفق المؤرخون على وقوع حدثين على عهد الأمير سعيد بن ادريس ، أحدهما ثورة داخلية من جانب غمارة من البرانس « اذ تألبوا عليه من كل جهة ، وقدموا على أنفسهم رجلا يسمى سكن وغزوه فى عقر داره » ويبدو أن ناكور صمدت للهجوم فهى محصنة « وانبرى الأمير للقتال فهزمهم وقتل رئيسهم » ورجع من بقى منهم الى الطاعة (٢) •

أما الخطر الثانى فكان من غزوة خارجية من جانب الفيكنج ، هاجموا أرض الامارة بحرا عام ٢٤٤ / ٨٥٨ على عهد الامير سعيد بن ادريس (٣)•

ولنا تعليق على هذه الغزوة على عهد هذا الأمير فهو قد توفى قبل ذلك بكثير عام ١٨٠/ ٧٩٦ (٤) « بعد أن ملك ٣٧ سنة » هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فان غزوة الفيكنج هذه الذين أطلق عليهم المؤرخون اسم المجوس ، تدخل فى نطاق غزواتهم على سواحل الأندلس والمغرب التى بدأت أواخر عام ٢٣٠ / سبتمبر ٨٤٤ بغارة على سواحل الاندلس الغربية لشبونة وقادس وتوغلوا فى الداخل حتى أشبيلية ، فقتلوا الأهالى وأحرقوا المساجد ودمروا المنازل ، وانبرى الأمير الأموى عبد الرحمن بن الحكم لقتالهم ومطاردتهم حتى خارج البلاد (٥) ثم كانت غارة الفيكنج على ناكور

---

(١) ابن خلدون ٦/٢١٢ .
(٢) ابن خلدون ، ٦/٢١٢ ، ابن عذارى ، ١/١٧٦ ، البكرى ٩٢ .
(٣) البكرى ٩٢ ابن خلدون ٦/٢١٢ .
(٤) ابن خلدون ، ٦/٢١٢ ، ابن عذارى ، ١/١٧٦ ،البكرى ٩٢ .
(٥) ابن عذارى ، ٢/١٣٠ ــ ١٣٢ يبدو أن اطلاق المؤرخين اسم المجوس على الفيكنج جاء نتيجة للحرائق التى كانوا يشعلونها فى البلاد التى

عام ٢٤٤/٨٥٨ فاحتلوها مدة ثمانية أيام خرجوا بعدها حاملين الغنـائم والاسلاب مخلفين وراءهم الرعب والدمار (١) وقدم محمد بن عبد الرحمن من بنى صالح مبلغا كبيرا لفداء اثنتين من نسائهم(٢)• وخرج القراصنة من ناكور ليهاجموا الشواطىء الجنوبية والشرقية من الأندلس عام ٢٤٥/٨٥٩، يحدوثون بها النهب والقتل أيضا الى أن نشط محمد بن عبد الرحمن أمير قرطبة بارسال أسطول أجلاهم عن البلاد (٣) •

ومن ثم نرى أن غزوة الفيكنج الأخيرة لم تحدث فى عهد سعيد بن ادريس انما المرجح كما يبدو تاريخيا أنها وقعت فى أواخر عهد ابنه وخليفته الأمير صالح (الثانى) ابن سعيد بن ادريس • ولا بأس من ذكرنا دلائل هذه الغزوة •

١ ــ معاصرة الأمير صالح (الثـانى) ابن سـعيد ١٨٠ ــ ٢٥٠/ ٧٩٦ ــ ٨٦٤ لكل من الأمراء الأمويين الحكم بن هشام ثم ابنه عبد الرحمن ثم حفيده محمد بن عبد الرحمن • فقد أشار ابن خلدون الى أنه حكم ٧٢ عاما (٤) ويظهر قيام التعاون بين تلك الامارتين أمام الخطر المشترك • فنرى أخا الأمير وهو عبد الرحمن بن سعيد يعبر بنفسـه الى الأندلس للجهاد وعرف هنالك باسم الشهيد (٥) •

٢ ــ تأكيد العلاقات الودية بين تلك الامارتين تأسيسا على ما قدمته

يستولون عليها أو لما اعتاد الفيكنج من اشعال النار ليـلا للاستئناس أو التدفئة الأمر الذى جعل المسلمين يعتقدون أن هؤلاء القوم من عبدة النار أو المجوس أنظـر د. سعيد عاشـور أوربا فى العصـور الوسطى ٢١٥/١ القاهرة ١٩٥٨ .

(١) ابن عذارى ، ٢٤٧/١ البكرى ، ٩٢ ابن خلدون : ٢١٢/٦ .

(٢) البكرى ، ٩٢ السيدتان هما أمة الرحمن وخنعولة ابنتا واقف ابن المعتصم بن صالح بن منصور (نفسه) ويلاحظ أن اسم أمة الرحمن لا يزال يستخدم الى الآن ببلاد اليمن مثل غيره من نسبة الأمة الى الله أو الرحمن أو غيره من أسماء الله الحسنى . وهو دليل على يمنية هذه الامارة .

(٣) ابن عذارى ، ١٤٥/٢ د. سعيد عاشـور ، أوربا فى العصـور الوسطى ؛ ٢١٥/١ .

(٤) ابن خلدون ٢١٢/٦ يذكر ابن عذارى ١٧٧/١ وفاة صالح بن سعيد بعد أن ملك أكثر من عشرين عاما ، وحددها البكرى ص ٩٢ بثمانية وعشرين عاما .

(٥) البكرى : ٩٣ هو والد من قـدم فداء السـيدتين المذكورتين فى الحاشية (٣) .

ناكور سابقا الى عبد الرحمن الداخل عنـد عبـوره الى الأندلس (١) ، واقامته الامارة الأموية هناك عام ١٣٨هـ .

٣ ــ اتجاه ناكور الى اقامة وسائل الدفاع ضد غزوة خارجية محتملة ببناء ما يعرف بالرباط بجانب اكدال موضع التقاء نهرى غيس وناكور (٢) لمنع سفن الغزاة من محاولة الوصول الى العدوة والى مدينة ناكور ذاتها ، وتوافد الناس من المغرب والأندلس بدافع الرغبة فى الجهاد يرابطون فى مثل هذه الحصون التى انشئت على طول الشاطئين الافريقى والأندلسى .

وتعود ثورات الأهالى التى كان من السهل اخمادها والتغلب عليها بفضل قوة أمير ناكور ، فقـد امتنع أهل مكناسـة عن دفع ما عليهم من ضرائب . ولم يبدأ الأمير صالح (الثانى) ابن سعيد بن ادريس بالقتال انما اتبع طريقة ذات مغزى فريد . فقد كتب لهم كتابا مختوما فيه تهديد ووعيد ، أدخله فى مخلاة شدها على حماره ، ثم وكل به أحد ثقاته ليتركه وسط بلاد مكناسة وينصرف . وسرعان ما عثر الناس على حمار الأمير وكان معروفا لديهم ، كما وجدوا الـكتاب وعلموا ما فيـه من الانذار والتعذير ، فارتبك الناس بين التحدى أو الاذعان الى أن تغلب العقـل بالرد الجميل « بأن جمعوا ما عليهـم من أموال حملوها الحمـار الذى جللوه بملحفة مروية وأتوا صالحا بالحمـار مجللا ومغـارمهم موفاة واستعبتوه فأعتبهم » (٣) .

وتعرض الأمير صالح الثانى الى ثورة خطيرة ظهر فيها انقسام البيت الحاكم قامت من جانب بنى ورغايل وكزناية بزعامة ادريس أخى الأمير . والتقى الاخوان بجبل كزناية المعـروف بكوين . فانهـزم الأمير ونهب معسكره ، ثم تقدم ادريس صوب ناكور ليدخلها . غير أن نائب الأمير بها تصدى له ورفض طاعته ، كما لم تنطل عليه حيلة ادريس بأن الأمير صالحا قد قتل الا اذا ثبت عنده ذلك الادعاء فانه يسلم له ناكور . فرحل ادريس بجمعه ونزل الجبل المطل على المدينة .

وفى جوف تلك الليلة قدم الأمير صالح الثانى فى خاصة من أصحابه ودخل المدنية ، وتهيأت الفرصة لاقتناص أخيه ادريس الذى أقبل صباح

---

(١) اليعقوبى ، البلدان ٣٥٧ .
(٢) البكرى ، ٩١ .
(٣) البكرى ، ٩٣ .

اليوم التالى ممتطيا جواده ومسلحا بدرعه يريد دخول المدينة ، فأدخلوه وهو لا يعلم بتواجد الأمير بها • حتى اذا أتى القصر تقدم الفتيان وأنزلوه عن دابته ، وأتوا به صالحا أخاه ، فأمر بحبسه فى داره •

وقد كان يمكن أن ينتهى الأمر عند هذا الحد لولا تدخل الحاشية بالالحاح على الأمير صالح (الثانى) بقتل أخيه ادريس الى أن أمر بذلك • وعندما امتنع الوالى عن تنفيذ الأمر تأدبا واحتراما لمكانة المحكوم عليه ، نفذه أحد فتيان القصر ويدعى عسلون بناء على أمر الأمير (١) •

أما عن الثورات العسكرية التى اشترك فيها بعض أفراد من بنى صالح ضد الأمير سعيد (الثانى) الذى خلف أباه صالح (الثانى) عام ٢٥٠/٨٦٤ فهى تعود الى العبيد الصقالبة الذين اعتمد عليهم امراء ناكور فى تكوين الجيش مثل ما فعلته الدول المغربية الاخرى • ويبدو أن عناصر الصقالبة هذه كان لها يد فى تولية هذا الأمير دون اخوته الكبار (٢) • فصار لهم عليه دالة بأن « دخلوا عليه وسألوه العتق » ولم يستمعوا الى قوله ، أنتم جندنا وعبيدنا ، وأنتم كالأحرار لا تدخلون فى المواريث ، ولا تجرى عليكم المقاسم • بل ألحوا عليه • وعندما رفض طلبهم تطاولوا عليه بالجفاء والغلظة • ثم لجأوا الى كل من أخيه عبيد الله وعمه الرضا (٣) وبعض بنى عمه ليقودوهم ويزحفوا بهم الى القصر •

ولم يرضخ الأمير سعيد (الثانى) لهذا الأسلوب وشعر أن امرته فى خطر أمام هذا الابتزاز العسكرى « فحاربهم من أعلا القصر بالفتيان والنساء حتى انهزموا » كما قامت ضدهم عامة الأهالى ، فالتجأ الى قرية قرب المدينة تعرف بقرية الصقالبة (٤) وتحصنوا بها سبعة أيام الى أن أتاهم الأمير بحشد من أهل ناكور فظفر بهم بعد قتال شديد (٥) • هذا وقد اكتفى الأمير سعيد (الثانى) بالقبض على عمه الرضا وأودعه السجن

---

(١) البكرى ، ٩٢ ــ ٩٣ .

(٢) يذكر البكرى ص ٩٣ « ومات صالح بن سعيد بعد أن حكم ٢٨ عاما فولوا ابنه سعيدا وكان أصغر أخوته » .

(٣) كان الأمير سعيد (الثانى) بن صالح متزوجا من ابنة عمه الرضا (البكرى ، ٩٣) .

(٤) يظهر من هذا النص أن الجيش من العبيد الصقالية كان له قاعدة خاصة به تشرف على المدينة .

(٥) البكرى ، ٩٣ ــ ٩٤ .

مع أخيه عبيد الله (١) بينما أوقع القتل فيمن انضم اليهما من بنى عمه (٢) .

وقد أدى هذا العمل الاخير الى امتعاض وغضب ابن عم آخر للأمير هو سعادة الله بن هارون ، فكان يقول قتل سعيد ابن عمى، وأبقى عمه وأخاه وذنبهما واحد ، فكان أن دبر سعادة الله بن هارون فى الخفاء أمر ثورة ، وهو موجود مع الامير فى ناكور ، بأن حرك بنى يصليتن بهذه الحجة ، حتى اذا أعلن هؤلاء الخلاف وخرج اليهم الأمير ومعه سعادة الله ، ظهرت خيانته بالانحياز بمن معه الى الثوار ، وهكذا خذل سعيد (الثانى) وانهزم الى ناكور ، واستولت بنو يصليتن على بنوده وطبوله ، وقتلوا من مواليه نحو ألف رجل ، ثم تقدموا لحصار الأمير فى ناكور فانتصر عليهم هـذه الكرة ، وأسر ميمونا أخا سعادة الله وقتله ، كما أحرق وخرب دور سعادة الله الذى التجأ الى تمسامان فترة سعى بعدها الى التصالح وعاد الى ناكور (٣) ولم تبدر من سعادة الله بن هارون بعد ذلك عداوة أخرى انما قام بعمل يزيد به سلطان بنى صالح فى المغرب الأقصى مستعينا بالبربر من بطوية وبنى ورتدى ، فأخضع بهم مرنسية وزناته وعاد الى ناكور « فأقام مصافيا لسعيد » (٤) .

وهكذا تظهر مناعة ناكور وحصانتها فكانت الملجأ الأخير الذى يلوذ به الأمير فى مقاومة الخارجين والثـوار . وزاد الأمير سعيد (الثـانى) ابن صالح الآن فى تحصينها ببناء مسجد على نهر غيس عام ٢٦٣/٨٧٧ لعله اتخذ رباطا آخر للدفاع عن ناكور وجاء متأثرا ومتفقا كمـا ذكرنا لعمارة مسجد الاسكندرية « بمحارسه وجميع منافعه » (٥) .

ومن ناحية أخرى نعلم أن بعض العلويين من أخوة النفس الزكية (٦) قد جاؤا المغرب الأقصى فرارا من اضطهاد العباسيين فى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى وصار لبعض ذريتهم أملاك بجوار ملك الادارسة مثل

---

(١) رحل عبيد الله بن صالح بعد ذلك بجراسة من قبل اخيه الى مكة فأقام بها حتى مات (البكرى ، ٩٤ ـ ابن خلدون ٦/٢١٣) .

(٢) البكرى ٩٤ ، ابن خلدون ، ٦/٢١٣ .

(٣) البكرى ، ٩٤ ، ابن خلدون ٦/٢١٣ .

(٤) نفس المصدر .

(٥) البكرى ، ٩١ .

(٦) النفس الزكية هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على ابن أبى طالب الثائر بالحجاز على عهد الخليفة العباس أبى جعفر المنصور .

عيسى بن ادريس الملقب بأبى العيش (١) الذى حكم مدينة تلمسان وما والاها ، وهو الذى أسس مدينة جراوة عام ٢٥٧/٨٧٠ ــ ٨٧١ الواقعة شرق ناكور (٢) ، وقامت بين تلمسان وناكور العلاقات الطيبة والمصاهرة بزواج أحمد بن ادريس أخى أبى العيش من أخت الأمير سعيد (الثانى) أم السعد بنت صالح واستقراره بمدينة ناكور (٣) كما قامت مثل تلك العلاقات بين ناكور وفاس عاصمة الادارسة ، اذ لم يرد فى المصادر ما يشير الى عداء أو صدام أو تدخل من جانب أحدهما فى شئون الأخرى .

وهكذا استقرت وعاشت تلك المدينة ــ الدولة وسط هذا المحيط الودى بحسن الجوار ، وحظيت باستقرار سياسى فى يد أسرة حاكمة قوية من العرب اليمنية ، علاوة على استقرار اقتصادى بوفرة الانتاج وامكانيات التجارة الخارجية ، ودام هذا الاستقرار والسلام نحو قرنين من الزمان الى أن عصفت بناكور غزوات الفاطميين مثل ما حل بسائر الدول ببلاد المغرب جميعا فى بداية القرن الرابع الهجرى .

ذلك أنه تحقيقا لمبدأ السيادة الفاطمية على سائر العالم الاسلامى ، بعث عبيد الله المهدى أثر قيام دولته فى افريقية بعدة رسائل الى حكام بلاد المغرب وصلت احداها الى أمير ناكور ، وجاء فى آخرها أبيات كثيرة منها (٤) .

فان تستقيموا أستقم لصلاحكم وان تعدلوا عنى أرى قتلكم عدلا
وأعلو بسيفى قاهرا لسيوفكم وأدخلها عنوة وأملؤها قتلا

ولم يقبل الأمير سعيد (الثانى) أسلوب التهديد والوعيد ، وهو أيضا لا يريد الاعتراف بهذه الامامة الشيعية تمسكا منه بمذهب السنة ، فكلف شاعره (٥) وكاتبه بالرد ، فكتب هو الأخر أبياتا كثيرة منها .

---

(١) هو عيسى بن ادريس بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على ابن أبى طالب (البكرى ١٤٢) .

(٢) ابن عذارى ، ١/١٩٦ ، البكرى ، ٩٠ يحدد تأسيس جراره بعام ٢٥٩هـ .

(٣) البكرى ، ٩٤ ، ابن خلدون ، ٦/٢١٣ .

(٤) ابن عذارى ، ١/١٧٨ ، البكرى ، ٩٤ ــ ٩٥ .

(٥) يذكر البكرى ص ٩٥ أن هذا الشاعر رجل من أهل طليطلة بالاندلس يدعى يوسف بن صالح وتلقب بالاحمس ، وهو شاعر آل صالح ونستخلص من ذلك أمرين ، أولهما الاتصال الثقافى بين الأندلس وسائر بلاد المغرب عامة يتواجد شعراء الاندلس ببلاط أمراء بلاد المغرب ، وثانيا ، رعاية

كذبت وبيت الله لا تعرف العــدلا ولا عرف الرحمن من قولك الفضلا
ومــا أنت الا كافــر ومنـــافق تميل مع الجهــال فى السنة المثــلا
وهمتنــا العليـــا لدين محمــد وقد جعــل الرحمن همتك السفلا

وكان هذا الرد (١) بمثابة التحدى واعلان العداء وقبول النزال •

وكان الفاطميون قد اتخــذوا من تاهرت قاعــدة متقدمة فى المغرب الأوسط للاستيلاء على المغرب الأقصى ، فخرج منها فى غرة ذى الحجــة ٣٠٤هـ بناء علىأوامر عبيد الله المهدى جيش كبير بقيادة مصالةبن حبوس عامله على تاهرت قاصدا ناكور وعسكر على مسيرة يوم واحد منها بموضع يقال له نسافت حيث دار القتال سجالا بين قوات الفاطميين وقوات آل صالح مدة ثلاثة أيام •

ويظهر أن الحماس لقتال الفاطميين كان متوقدا للغاية بين قوات آل صالح من البربر ، بما يردده المؤرخين عن قيام أحد أعلامهــم وشجعانهم ويدعى حمد أو أحمد بن العياش من بنى يطوفت ، دعته نفسه أن يقصد معسكر الفاطميين ليفتك بقائدهم مصالة ويفت من عضدهم • ونفذ ابن العياش هذه الفكرة الجريئة مع سبعة من الفرسان نفذوا الى معســكر مصالة ، غير أنهم لم يبلغوا هدفهم اذ تصــايح النــاس وتكاثروا عليهم وأسروهم جميعا ، ثم جىء بهم الى مصالة الذى أمر بقتل هؤلاء الأسرى • فانبرى له ابن العياش قائلا ، ليس مثلى يقتل ، فسأله مصالة ، لم ؟ فقال ابن العياش ، لانك لا تطمع بسعيد الا بى وعلى يدى • وهكذا اشترى ابن العياش الذى كان يعلم خطط الدفاع عن ناكور ونقط الضعف فيها ، اشترى حياته بخيانة لم تكن متوقعة لآل صالح ، اذ استبقاه مصالة وقربه ووثق به ، ثم أعطاه جزءا من قواته اقتحم بها معسكر آل صالح من جهة معينة وعلى غرة • ونجح ابن العياش مع القوة الفاطمية فى دخول معسكر سعيد (الثانى) الذى فوجىء بهذا الهجوم المباغت من تلك الجهة الغير

آل صالح للآداب بأن صار لهم شاعر بمثابة الكاتب الذى تولى الرد على التهديد الفاطمى .

(١) ابن عذارى ، ١/١٧٨ يختلف البــكرى مع ابن عذارى فى بعض كلمات هذا الشعر فى البيتين الأول والثــانى وان احتفظــا بنفس المعنى ، فيذكرهما البكرى ص ٩٥ .

كــذبت وبيت الله لا تحسن العــدلا ولا علم الرحمن من قولك الفضلا
فمــا كنت الا جاهــل ومنـــافق تمثــل للجهال فى السنة المثــلا

متوقعة ، وسرعان ما أطبقت عليه جيوش الفاطميين بما لا قبل له بها وأيقن بالهزيمـــة •

وتصور المصادر صورة رائعة من البسالة العربية ــ البربرية ، فقد أرسل الامير سعيد (الثانى) ابن صالح من فوره الى ناكور يأمر بخروج جميع من فى قصره من آل صالح والهروب الى البحر ، ووقف هو يقاتل بشجاعة ليعطى الفرصة لأهله للخلاص من الأسر والهوان مضحيا بنفسه وفتيانه وخاصته حتى قتل واستبيح معسكره ، ودخل مصالة بن حبوس مدينة ناكور يوم الخميس ٣ المحرم ٣٠٥هـ/٩١٧م فقتل الرجال وسبى الذرارى والنساء • وبعث ببشر الخليفة الفاطمى بالفتح مع رؤوس القتلى من بنى صالح فطيف بها فى القيروان ونصبت بمدينة رقادة ، وظل مصالة ابن حبوس يحـــكم فى ناكور نحو ســـتة أشهر ثم انصرف ليغزو ملك الادارسة مستخلفا أحد رجاله ويدعى ذلول •

أما من نجا من آل صالح وعلى رأسهم صالح وادريس والمعتصم أبناء الأمير المقتول سعيد (الثانى) ، فقد نزلوا فى مالقة بشاطىء الأندلس حيث أحاطهم الأمير الأموى عبد الرحمن الثالث بن محمد (الخليفة الأموى فيما بعد) برعايته « وحباهم بالكساء الرفيعة والصلات الجزيلة ، وخيرهم بين المقام بالأندلس أو مالقه ، فاختاروا البقاء فى مالقـــة لقربهـــا من بلدهم ورجائهم العودة اليه » •

واذا كانت هذه المعاملة الطيبة التى لقيها آل صالح فى المنفى من جانب الأمير عبد الرحمن الثالث الأموى تأكيدا لما ذكرنا للعلاقات الطيبة بين ناكور وقرطبة ، فانها أيضا تسير وفق سياسة هذا الأمير الأموى فى مواجهة هذا المد الشيعى ، فهو يمد يد المساعدة لمثل هؤلاء الحكام الى أن تتاح لهم فرصة العودة الى بلادهم ومناوأة الفاطميين كجزء من خطته للدفاع عن امارة بالأندلس •

وجاءت هذه الفرصة فعلا ، اذ انتهز آل صالح فى المنفى مغادرة مصالة ابن حبوس ناكور وبقاء ذلول بهـــا بقلة من الجند ، لاســـتعادة امارتهم واثقين من محبة الرعية لهم وميلهم اليهم •

واتفق الاخوة الثلاثة ، ادريس والمعتصم وصالح فى بداية المغامرة على ركوب البحر فى مراكب متفرقة من موضع واحد وفى ليلة واحدة وريح واحد ، وأن من يصل منهم قبل أخويه تكون له الامارة ، وكان أن فاز

بالسبق وشرف الاقدام أصغر الاخوة سنا وهو صالح بن سعيد (الثانى) • اذ وصل المرسى المعروف بوادى البقر بتمامان ، وتسامع البربر بوصوله فأسرعوا اليه من كل صوب وعقدوا له الأمر ولقبوه باليتيم • ثم زحفوا به الى ناكور وأسروا ذلول وأصحابه وصلبوهم جميعا على ضفتى نهر ناكور •

وهكذا استعاد آل صالح امارتهم ببسالة فى نفس العام بعد أن فقدوها ببسالة وزال عنها سيادة الفاطميين ، وكتب الأمير صالح (الثالث) ابن سعيد الى الامير الاموى عبد الرحمن الثالث يبشره بالنصر فقرىء كتابه بجامع قرطبة وأذيع فى سائر الاندلس ، كما أمر بتدعيم القوة المادية والمعنوية للأمير صالح (الثالث) فى ناكور ، فوصلته الأخبية والآلات والاسلحة والدروع والبنود والطبول • ومن ناحية أخرى فان هذا الامير لم يتعرض لمنافسة أخويه اللذين عرقلهما البحر ووصلا متأخرين ، فاحترما اتفاقهما السابق وسلما له الأمر فتوطد له الملك الى حين (١) •

ذلك أن الاستيلاء على ناكور ظل فى برنامج الفاطميين فى محاولاتهم المتكررة لفرض سيادتهم على المغرب الأقصى • ودخلت ناكور فى دائرة الصراع الحربى والسياسى الذى شهده ملك الادارسة هناك •

ففى المحاولة الأولى استولى مصالة بن حبوس كما ذكرنا على ناكور ثم تقدم منها صوب فاس عاصمة الادارسة وسهل عليه دخولها أضعف مقاومة أميرها يحيى بن ادريس من بنى عمر بن ادريس فأمره عليها — كما قرب اليه موسى بن أبى العافية أحد زعماء البربر ، وولاه على بقية ملك الادارسة (٢) •

غير أن السيادة الفاطمية لم تستتب فى تلك البلاد فى هذه المحاولة الأولى باستعادة آل صالح امارتهم فى ناكور ، وقيام النزاع بين يحيى بن ادريس وموسى بن أبى العافية فى فاس (٣) • فكانت المحاولة الفاطمية الثانية فى حملة كبرى خرجت من تاهرت عام ٣٠٨/٩٢٠ — ٩٢١ بقيادة مصالة بن حبوس أيضا فتوجه الى ناكور فخرج عنها الأمير صالح (الثالث) ابن سعيد دون قتال ولجأ الى جبل تمسامان الذى عرف بجبل أبى الحسن،

---

(١) ابن عذارى ، ١/١٧٩ — ١٨٠ ، البكرى ، ٩٥ — ٩٧ ابن خلدون ٦/٢١٣ •
(٢) ابن عذارى ، ١/١٨٣ ، ٢١٢ •
(٣) البكرى ، ١٢٥ — ١٢٦ •

ودخل مصالة المدينة لفترة قصيرة ليتوجه الى فاس مرة أخرى ، وهناك مال مصالة الى جانب موسى بن أبى العافية بأن قبض على يحيى بن ادريس وأخرجه عن بلده ، ثم غادرها بعد أن ضبط أمورها موليا عليها ريحان ابن على الكتامى ، ومبقيا موسى بن أبى العافية أميرا على جهاته (١) .

ولا نشك فى عودة الأمير صالح (الثالث) ابن سعيد الى ناكور فى فترة الفوضى السياسية التى وقع فيها المغرب الاقصى بعد ذلك بسبب الصراع العنيف بين الادارسة وموسى بن أبى العافية . وتوفى صالح (الثالث) ابن سعيد عام ٣١٥/٩٢٧ قبل عامين من تعرض ناكور لغزوة مدمرة ثالثة على يد موسى بن أبى العافية .

ويلزم علينا أن نتعرف على تحركات موسى بن أبى العافية قبل وبعد غزوته هذه لناكور ونتعرف دوافعها . فهو لم يرض عن عودة بنى ادريس لحكم فاس بما قام به أحدهم وهو حسن بن محمد بن القاسم الملقب بالحجام مع أنصاره من البربر باخراج ريحان الكتامى عامل الفاطميين على فاس عام ٣١٠هـ (٢) . فدارت المناوشات بين موسى بن أبى العافية وحسن الحجام الى أن حدثت معركة كبرى يصفها المؤرخون « بأنها وقعة شنيعة لم يكن بالمغرب منذ دخول ادريس الأول مثلها » . قتل فيها ما يزيد على ألفى قتيل منهم منهل بن موسى بن أبى العافية (٣) .

ولم يتمكن موسى من الانتقام من حسن الحجام الا بعد انقلاب قام به فى فاس حامد بن حمدان المعروف باللوزى ، اعتقل فيه الحجام ، واستدعى اليه موسى بن أبى العافية فدخل بقواته فاس (٤) .

وألح موسى بطبيعة الحال على حامد اللوزى فى قتل حسن الحجام بابنه منهل ثم انقلب على حامد اللوزى ، وهو سبب دخوله فاس ، فهرب

---

(١) ابن عذارى ، ١/١٨٣ ، ١٨٨ ، ٢١٢ ـ ٢١٣ أكمل مصالة بن حيوس فى هذه الجولة الحربية الثانية اعادة اخضاع سجلماسة للسيادة الفاطمية ـ وقد كان أهالى سجلماسة فتكوا بالعامل الفاطمى ابراهيى بن غالب المزاتى . (نفس المصدر ١/٢٠٦) .

(٢) ابن عذارى ، ١/١٨٨ ، ٢١٣ ـ ٢١٤ يذكر البكرى ص ١٢٦ هذه الغزوة عام ٣١٦هـ .

(٣) ابن عذارى ، ١/١٨٨ ، ٢١٣ ـ ٢١٤ البكرى ، ١٢٧ .

(٤) نفس المصدرين .

منه الى المهدية عاصمة الفاطميين فى افريقية •وأحل موسى ابن آخر له هو مدين فى حكم فاس (١) •

وهكذا استولى موسى بن أبى العافية على جميع المغرب الأقصى وأجلى آل ادريس جميعا عن بلادهم فلجأوا الى حصن النسر مغلوبين مقهورين حيث شدد عليهم الحصار يريد استئصالهم • فتدخل أكابر أهل المغرب يرجونه الامتناع عن قتل آل ادريس ، فارتحل عنهم عام ٣١٧/٩٢٩ مخلفا على حصارهم أحد قواده فى ألف فارس يمنعهم من الحركة (٢) كى يتجه هو صوب تلمسان لقتال الحسن بن أبى العيش صاحب جراوة (٣) • ويغزو ناكور فى الطريق ليكمل سيطرته على جميع المغرب الأقصى •

ويبدو أن غزوة موسى بن أبى العافيـــة لناكور كانت مدمرة وذات آثار سيئة على ملك آل صالح بها لتبدأ النهاية • فقد دخل موسى المدينة بعد أن قتل أميرها المؤيد بن عبد البديع بن صالح (الثانى) « وهـــدم أسوارها (٤) وخرب ديارها ونسف آثارها وتركها بلاقع تسفى عليهـــا الرياح، وتعاوى فيها الذئاب، وبلغ منها ما لم يبلغه مصالة بن حبوس»(٥) ثم يتركها الى جراوة التى صمدت فى وجه موسى ثم جاءه كتاب من محمد ابن خزر الزناتى زعيم مغراوة ، والذى كان يعـــادى الفاطميين فى المغرب الاوسط ،، فيه تحذير وتأييد للحسن بن أبى العيش ـــ فأنف موسى منه وسار اليه وباغته وأوقع به الهزيمة وعاد الى حصار جراوة (٦) •

تلك كانت تحركات موسى بن أبى العافية ، أما عن دوافعها فانها تفهم على ضوء الصراع السياسى بين الفاطميين والأمويين من أجل السيطرة على المغرب الاقصى • فقد كان موسى بن أبى العافية رجل الفاطميين فى بادىء الأمر اتفقت أطماعه فى ملك الادارسة وعدائه لهم مع السيطرة الفاطمية هناك • لذلك اســـتولى على فاس وحاصر الأدارسة فى حجر النسر لولا شفاعة البربر ، فاتجه الى غزو ناكور ثم جراوه • وكان عبد الرحمن الثالث الذى تلقب بالخلافة فى ذى القعدة ٣١٦ يناير ٩٢٨ يتتبع أحداث المغرب ويراقب الموقف عن كثب •

---

(١) نفس المصدرين .
(٢) نفس المصدرين ، الاستقصاء ، ١٦٩/١ .
(٣) ابن عذارى ، ١٩٤/١ .
(٤) نفس المصدر ، ابن خلدون ، ١٣٦/٦ ، البكرى ، ٩٧ .
(٥) البكرى ، ٩٧ .
(٦) ابن عذارى ، ٢٠٤/١ ، ٢٠٥ .

ففى أثناء انشغال موسى بن أبى العافية فى تحركاته الأخيرة من غزو ناكور ثم جراوة وهزيمة زناته ، حدثت تطورات خطيرة أثرت فى موقف موسى بين الفاطميين وأمويى الأندلس ــ أولها ، محاولة الفاطميين اعادة حامد بن حمدان اللوزى الى حكم فاس واخراج مدين بن موسى بن أبى العافية منها عام ٣١٧ • وثانيا رجوع القائد الفاطمى حميد بن يصال دون مقابلة موسى وتجديد العهد له (١) • ثالثا استيلاء عبد الرحمن الناصر على سبتة فى ربيع الاول ٣١٩ وبناء ســورها وحشدها بالرجــال (٢) ، تمهيدا للسيطرة على المغرب الأقصى دون الفاطميين وقتال رجلهم موسى ابن أبى العافية •

ومن ثم أدرك موسى حرج موقفه وفكر فى خلع طاعة الفاطميين فكاتب عبد الرحمن الناصر يرغب فى موالاته ، وكان من الطبيعى أن يتقبل الخليفة الأموى هذا العرض أحسن قبول ، ويرد عليه بالخلع والأموال التى استعان بها موسى على حصار جراوة والاستيلاء عليها (٣) وأظهر موسى التبعية بالدعوة لأمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر (٤) شعبان ٣٢٠ أغسطس ٩٣٢ ،

أما بالنسبة لناكور فلم يكن هناك الآن ما يمنع وقــد توقف عداء موسى بن أبى العافية وبتأييد من أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر من عودة آل صالح فتولاها أحد رجالهم وهو أبو أيوب اسماعيل بن عبد الملك ابن عبد الرحمن بن سعيد بن ادريس بن صالح الأول ، فبنى المدينــة القديمة التى أسسها سعيد بن ادريس وعمــرها وأعاد الســوق اليهــا وسكنها (٥) غير أننا نلحظ شيئا جديدا فى تسلسل أمراء آل صالح الذى كان فى الأعقاب ، بتحوله الى بيوت أخرى من أبناء العمومة ، كما نراه فى هذا الامير الاخير ، وسلفه المؤيد بن عبد البديع (٦) ، ممــا يدل على تدهور تلك الإمارة بعد الغزوات المتكررة فى جانب الفاطميين وأشياعهم بالمغرب الأقصى فأحدثوا فيها الخراب والدمار •

---

(١) ابن عذارى ، ٢١٤/١ يضيف ابن عذارى القول ان هذا العمل كان سببا فى سجن حميد بن يصــال بعد عودته الى افريقيــة الى أن هرب الى الاندلس (نفسه) .
(٢) ابن عذارى ، ٢٠١/١ ، البكرى ، ١٠٤ .
(٣) ابن عذارى ، ٢٠٥/١ .
(٤) البكرى ، ٩٨ .
(٥) البكرى ، ٩٨ ، ابن خلدون ، ٢١٣/٦ .
(٦) أنظر قائمة الامراء من آل صالح .

وجاءت الغزوة الرابعة عام ٣٢٣/٩٣٥ بجيش فاطمى سيره الخليفة القائم بأمر الله بقيادة صندل الفتى وصل الى تلمسان ثم هراس ، ومنهـا كتب الى اسماعيل بن عبد الملك أمير ناكور يطلب منه الحضور للمقابلة • ويظهر أن هذا الأمير أراد أن يكسب الوقت للتحصن والاستعداد للقتال ، ولم تكن ناكور قادرة على الصمود وقد تهدمت أسوارها ، فخرج عنهـا اسماعيل بن عبد الملك الى قلعة أكرى ، وكتب الى القائد الفاطمى أنه فى الطاعة • ولم يرض صندل الفتى عن هذا الجواب وأرسل اليه ثانية يستحثه فى الحضور اليه •

وارتكب الأمير اسماعيل بن عبد الملك عملا سيئا بأن قتـل مبعوث القائد الفاطمى متحديا له وداعيا للنزال ، فزحف الجيش الفاطمى وعسكر قرب قلعة أكرى عند نسافت ، وهو نفس موضع المعركة الباسلة بين سعيد (الثانى) بن صالح وبين مصالة بن حيوس فى الحملة الفاطمية الأولى • ودار القتال ثمانية أيام انتهت بانتصار الجيش الفاطمى والاستيلاء على القلعة ، وقتل اسماعيل بن عبد الملك ومعظم جنده فى شوال ٣٢٣ سبتمبر ٩٣٥ وغنم صندل كل ما كان فى القلعة من نساء اسماعيل وقرابته ، وأخذ له ولدين طفلين • ثم غادر صندل ناكور لينضم الى الجيش الفاطمى بقيادة ميسور الفتى المحاصر فاس ، مستخلفا على ناكور رجلا من كتامة يدعى مارمازوا (١) •

ويظهر أن آل صالح لم يكونوا متضامنين صفا واحدا فى هذه المعركة الأخيرة اذ لجأ بعضهم مع أنصارهم من بنى يصليتن الى جبل تمسامان الذى لجأ اليه من قبل الأمير صالح (الثالث) بن سعيد فى حملة مصالة بن حبوس الثانية وكان على رأسهم من يعرف بابن رومى وهو موسى بن المعتصم بن محمد بن قرة بن المعتصم بن صالح الأول • وتكرر ما حدث سابقا بعـد رحيل القوات الفاطمية بنهضة ناكور واستدعاء ابن رومى الذى فتك بالوالى الفاطمى مارمازوا وما معه من قوات وبعثوا برأسه الى عبد الرحمن الناصر فى قرطبة (٢) •

ومع كل فان ابن رومى لم يهنأ طويلا بامرته فى ناكور اذ أخرج منهـا بانقلاب قام به عبد السميع بن جرثم بن ادريس بن صالح بن ادريس بن صالح الأول عام ٣٢٩ / ٩٤٠ ــ ٩٤١ فالتجأ ابن رومى بأهله وولده الى

---

(١) البكرى ، ٩٨ ، ابن خلدون ، ٦/٢١٣ .
(٢) البكرى ٩٨ ، ابن خلدون ٦/٢١٤ .

بلاد الأندلس ونزل بجانة بينما نزل فريق آخر من بنى عمومته مالقه وعلى رأسهم جرثم بن أحمد بن محمد بن زيادة الله بن سعيد بن ادريس بن صالح الأول ، وما لبث أن انقلب أهل ناكور على الأمير واستدعى هذا الأخير فعبر البحر اليهم وولوه عليهم عام ٣٣٦/٩٤٧ وظل بها ذى الحجة عام ٣٦٠ أكتوبر ٩٧١ (١) .

وتوالت الامارة فى ناكور فى بنى جرثم من آل صالح حتى عام ٤١٠/ ١٠١٩ ــ ١٠٢٠ حين غلبت عليهم أزداجة وأخرجوهم من جميع بلد ناكور (٢) .

---

(١) البكرى ٩٨ ــ ٩٩ ، ابن خلدون ٦/٢١٤ .

(٢) البكرى ٩٩ ، ابن خلدون ٦/٢١٤ .

قائمة بأمراء بنى صالح وسنوات حكمهم (١)

١ ـ صالح بن منصور الحميرى	٩١	١٣٢هـ / ٧٠٩	ـ ٧٤٩ م
٢ ـ المعتصم ثم أخوه ادريس ابنى صالح بن منصور	١٣٢	١٤٣هـ / ٧٤٩	ـ ٧٦٠ م
٣ ـ سعيد بن ادريس بن صالح	١٤٣	١٨٠هـ / ٧٦٠	ـ ٧٩٦ م
٤ ـ صالح (الثانى) بن سعيد	١٨٠	٢٥٠هـ / ٧٩٦	ـ ٨٦٤ م
٥ ـ سعيد (الثانى) بن صالح (الثانى)	٢٥٠	٣٠٥هـ / ٨٦٤	ـ ٩١٧ م
٦ ـ صالح (الثالث) بن سعيد (الثانى)	٣٠٥	٣١٥هـ / ٩١٧	ـ ٩٢٧ م
٧ ـ المؤيد بن عبد البديع	٣١٥	٣١٧هـ / ٩٢٧	ـ ٩٢٩ م
٨ ـ اسماعيل بن عبد الملك	٣٢٠	٣٢٣هـ / ٩٣٢	ـ ٩٣٥ م
٩ ـ موسى بن المعتصم	٣٢٤	٣٢٩هـ / ٩٣٦	ـ ٩٤١ م
١٠ ـ عبد السميع بن جرثم	٣٢٩	٣٣٦هـ / ٩٤١	ـ ٩٤٧ م
١١ ـ جرثم بن أحمد	٣٣٦	٣٦٠هـ / ٩٤٧	ـ ٩٧١ م
١٢ ـ بنو جرثم من آل صالح	٣٦٠	٤١٠هـ / ٩٧١	ـ ١٠١٩ ـ ١٠٢٠م

(١) تختلف هذه القائمة كثيرا عن القائمة التى أوردها زامبادر عن بنى صالح بناكور (أنظر معجم الأنساب والاسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامى ص ٢١٢ القاهرة ١٩٥١) .

بالاضافة الى ما قمنا به من بيان تسلسل هؤلاء الأمراء وفترات حكمهم كما لم يرد ذكر لهذه الامارة أو أمرائها فى كتاب تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الاسرات الحاكمة للأستاذ الدكتور أحمد السعيد سليمان القاهرة ١٩٦٩) .

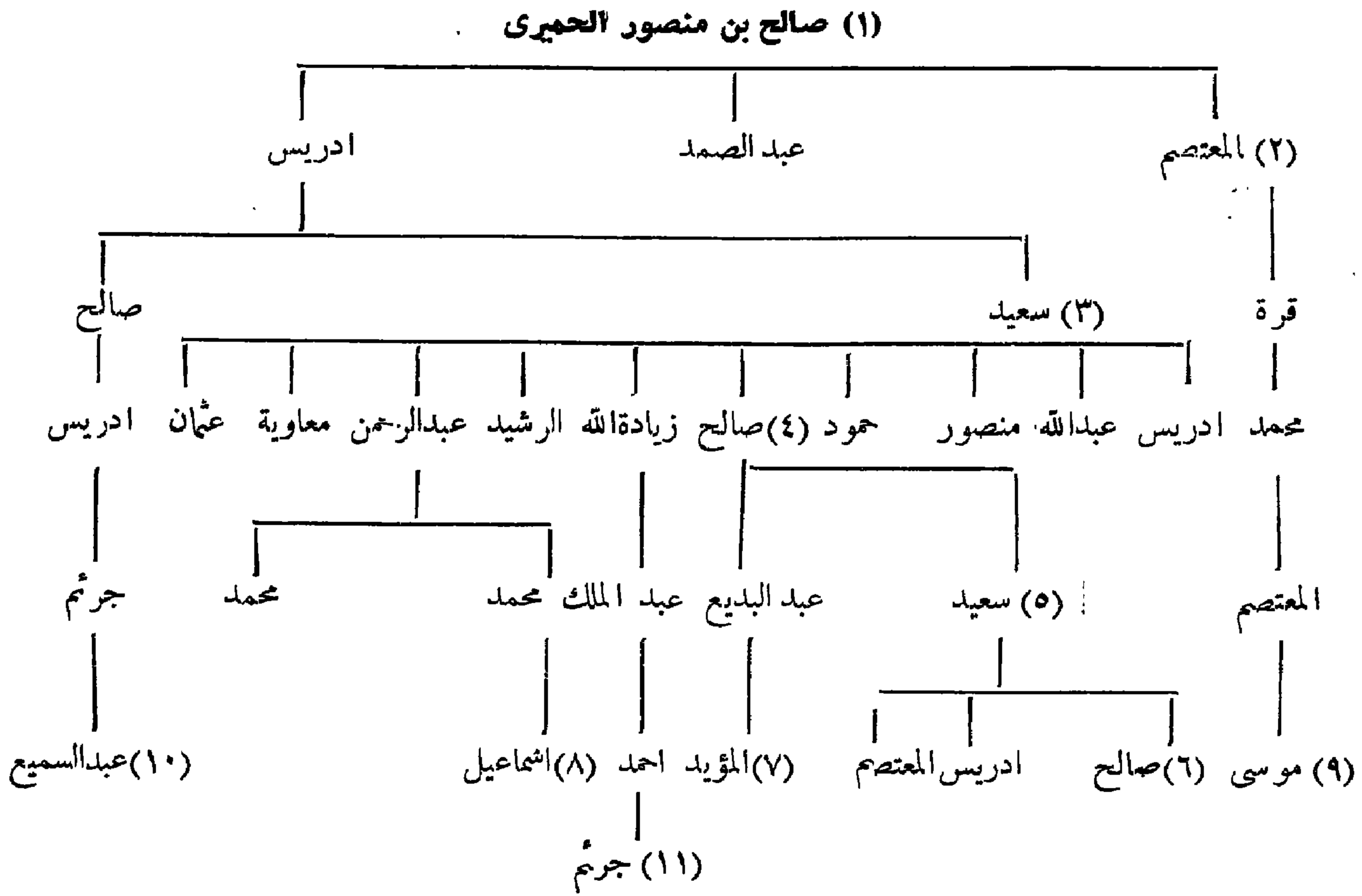
(١) صالح بن منصور الحميرى
(٢) المعتصم
عبد الصمد
ادريس
قرة
(٣) سعيد
صالح
محمد
ادريس
عبدالله
منصور
حمود
(٤)صالح
زيادةالله
الرشيد
عبدالرحمن
معاوية
عثمان
ادريس
المعتصم
(٥) سعيد
عبد البديع
عبد الملك
محمد
محمد
جرثم
(٩) موسى
(٦)صالح
ادريس المعتصم
(٧)المؤيد
احمد
(٨)اسماعيل
(١٠)عبدالسميع
(١١) جرثم